نحو ترجمة جديدة للعهد القديم إلى العربية

[المطلب و إشكالياته]

أ.د محمد خليفة حسن•

مقدمة

على الرغم من الأهمية القصوى للغة العربية فى حياة اليهود والمسيحيين فإن ترجمة العهد القديم إلى اللغة العربية تأخرت كثيرًا من الناحية الزمنية ، وأتت الترجمات إلى العربية فى لغة ركيكة ضعيفة لا تعكس بلاغة اللغة العربية وثرائها ، وقدرتها العظيمة على التعبير الدينى وفى ضوء تحولها إلى لغة دينية لليهود والمسيحيين في العالم العربي منذ ظهور الإسلام تقريبًا . ففى ضوء هذا التاريخ الطويل من تعامل أهل الكتاب مع اللغة العربية كلغة للحديث والكتابة ثم كلغة للعبادة ... تظل الترجمات العربية للعهد القديم ضعيفة ولا ترقى إلى المستوى الفنى المطلوب على مستوى اللغة والأسلوب للتعبير عن معطيات العهد القديم الدينية والتاريخية . وتمثل هذه الظاهرة مشكلة كبيرة على عدة مستويات من أهمها المستوى العلمى المعرفى حيث إن ضعف الترجمات يسبب مشكلة على مستوى الفهم ليس فقط بالنسبة لغير اليهود والمسيحيين ، بل وأيضًا بالنسبة لليهود والمسيحيين أنفسهم . وتظهر هذه القضية الخاصة بفهم العهد القديم فى كتب تفسير العهد القديم باللغة العربية حيث تعانى هذه التفاسير من إشكاليات كثيرة بسبب ضعف لغة النص ، وركاكة اللغة ، الأمر الذي يعوق عملية الفهم المباشر من ناحية ، والوصول إلى تفسير واضح للنص من ناحية أخرى .

• أستاذ تاريخ الأديان والدراسات اليهودية بكلية الآداب – جامعة القاهرة . نشر الكثير من المؤلفات والمقالات في مجال تاريخ الأديان والدراسات اليهودية والإسرائيلية والصهيونية والدراسات الإسلامية والعربية وحوار الحضارات .

والحقيقة أن الحاجة إلى ترجمة جديدة للعهد القديم إلى العربية لا تمثل مطلبًا يهوديًا مسيحيًا فقط، بل تمثل مطلبًا عربيًا وإسلاميًا فى نفس الوقت . فالترجمات الحالية الموجودة ، وهى ترجمات يهودية ومسيحية ، أتت فى لغة عربية ضعيفة ، ولا تعكس قوة اللغة العربية وفصاحتها ، وبيانها ،وبلاغتها . وذلك لأن القائمين على هذه الترجمات لم يملكوا ناصية اللغة العربية ولا بلاغتها ، وأنهم في معظم الترجمات لم يترجموا عن اللغة العبرية مباشرة ، ولكنهم ترجموا عن لغات وسيطة من أهمها اللغات الأوروبية القديمة (اليونانية واللاتينية) واللغات الأوروبية الحديثة فتأثروا ببناء الجملة في هذه اللغات ، كما تأثروا بأساليبها وبالمفاهيم الدينية في الترجمات الأوروبية ، والتي خرجت على حدود النص العبرى من خلال عمليات التأويل والتفسير المحملة بالرغبة في التعبير عن مضمون يهودي أو مسيحي معين .والترجمة الجديدة المنشودة ستنصف اللغة العربية بالحفاظ على بلاغتها ورونقها ، وقوتها اللغوية والأسلوبية ، وبخاصة لأن النص الدينى المقدس يكسب اللغة الضعيفة قوة ومهابة مصطنعة ، أو مقررة بقوة النص الدينى وقداسته.ومع مرور القرون ، وثبات استخدام الترجمة الضعيفة لغويًا وأسلوبيًا فى الحياة الدينية اكتسبت الترجمات الحالية مناعة ضد النقد، وأصبحت مقدسة بقداسة النص . هذا بالإضافة إلى مشكلة مزمنة فى تاريخ الكتاب المقدس وهى أن الترجمة اكتسبت قداسة النص الأصلى فى لغته الأصلية . والحقيقة أن العالم المسيحي لا ينظر إلى ترجمات الكتاب المقدس على أنها مجرد ترجمات ولكنها اكتسبت صفة القداسة ، وحلت محل النص الأصلي . ولا يخفى على القارىء قداسة الترجمة السبعينية ، أو قداسة الترجمات اللاتينية ،أو قداسة الترجمة السريانية ، أو الحبشية . والأمر يعود ببساطة إلى الاستخدام فالنص المستخدم هو المقدس ، ولأن غالبية الشعوب المسيحية لا تقرأ العبرية ، فإن النص المترجم إلى لغتها أصبح هو النص المقدس عندها فنحن لا نتعامل مع ترجمات ولكن مع نصوص مقدسة حلت محل النص المقدس الأصلي في لغته الأصلية .

أما كون الترجمة الجديدة المنشودة تمثل مطلبًا إسلاميًا فقد تبدو المسألة غريبة . ولا نقصد بهذا المطلب أن يقوم على الترجمة بالضرورة علماء مسلمون . ولكن القصد أن الترجمة العربية السليمة والفصيحة للعهد القديم ستلقى قبولاً إسلاميًا على عدة مستويات : المستوى الأول مرتبط بإيمان المسلم بالتوراة كنص ديني مقدس ، وكوحي إلهي له ارتباطه بالوحي القرآني . وكلما تم التعبير عن هذا الوحي في لغة عربية جيدة كلما كان أيسر على الفهم ، وأقدر على توضيح الصلات الدينية بين التوراة والقرآن الكريم . وفى رأيي أن ركاكة ترجمة التوراة الحالية وضعفها لا تشجع المسلم على قراءتها حيث يصيبه الملل بسرعة ، ولأن النص ليس قويًا في ترجمته نجد المسلم غير قادر على التعرف على مواطن القرابة التي تربط القرآن بالنصوص الدينية السابقة عليه ، ونجده يهمل العودة إلى هذه النصوص والاستفادة منها دينيًا في موضوعات ذات صلة وطيدة بدينه وبكتابه المقدس القرآن الكريم . والمسلم هو الوحيد من بين أهل الأديان التوحيدية الذي لا يشعر

بحرج من قراءة التوراة والأناجيل على المستوى الديني الروحي ، وقديمًا استرشد المفسرون المسلمون بالكتب المقدسة في اليهودية والمسيحية لشرح بعض آيات القرآن الكريم وبخاصة تلك المتعلقة بقصص الأنبياء عليهم السلام مهتدين في هذا بأمر الرسول عليه الصلاة والسلام :"خذوا عن بني إسرائيل ولا حرج" . والأخذ عن نص قوى في عربيته أفضل من الأخذ عن ترجمات ضعيفة للمعنى ، ومفتقدة للروحانية . والترجمة الجيدة مطلوبة أيضًا على مستويات أخرى منها مستويات المقارنة بين النصوص الدينية في ديانات الوحي ، ومنها مستوى الحوار بين هذه الأديان واستناد الحوار إلى نصوص دينية سليمة لغويًا وأسلوبيًا ، ومنها مستوى الدعوة الإسلامية ، ومستوى الجدل الديني . وهى جميعًا مستويات موجودة ولها مثيلها فى حياة المسلمين ، ومن حق الجميع التعامل مع ترجمة عربية قوية فالضعف اللغوي يمثل عادة حجة لدى المجادل المسلم وبخاصة إذا وضعنا مسألة الإعجاز البلاغي القرآني في الاعتبار .

الترجمات العربية للعهد القديم :

ليس من المعلوم بالتحديد متى بدأت ترجمة أسفار العهد القديم إلى اللغة العربية ، وشكل هذه الترجمة جزئية أو كاملة ، ومن هم المترجمون الأوائل ؟ والسبب في هذا الغموض أن تاريخ وجود اليهود في شبه الجزيرة العربية تاريخ طويل سابق على ظهور الإسلام . ولأنه وجود قوى ويشهد عليه النفوذ اليهودى القوى فى بعض مناطق وفترات من التاريخ العربي القديم فلابد من الحكم على أن اليهود كانت لهم حياة دينية قوية فى هذه المناطق ، وأنهم بالتأكيد تحدثوا وكتبوا وتعاملوا بالعربية ، وأن جزءًا –على الأقل– من حياتهم الدينية وعباداتهم قد تم باللغة العربية ، وأن جانبًا من الوعظ الدينى كان يتم باللغة العربية . وفى النهاية لابد من الوصول إلى نتيجة منطقية وهى أن نصوصًا دينية من التوراة وبقية أسفار العهد القديم تمت ترجمتها –شفويًا أو كتابة– لتيسير العبادة على اليهود العرب الذين لم تكن معرفتهم باللغة العبرية قوية . ويمكن التأريخ لأول محاولات ترجمة بعض النصوص الدينية اليهودية إلى اللغة العربية مع تكوّن أول جماعات يهودية فى شبه الجزيرة العربية . ويتفق المؤرخون على أن هذه الجماعات تكونت بعد أحداث السبى الأشورى ٧٢١ ق.م والسبى البابلى ٥٨٦ ق.م والسبى الرومانى ٧٠ق.م . فمع كل سبى فرت جماعات يهودية –قليلة أو كثيرة– إلى الجنوب من فلسطين هاربة من السبى إلى أشور وبابل ، وفارة من الاضطهاد الرومانى لليهود . وكان جنوب فلسطين يمثل بوابة الهروب إلى شبه الجزيرة العربية ، وإلى الشمال الأفريقي .وقد تمركزت الفلول اليهودية الهاربة فى شمال شبه الجزيرة العربية وفى جنوبها . وتأسست بهذا الجماعات اليهودية فى يثرب ، وخيبر ، وتيماء ، وفدك ، والعلا ، وأيضًا فى اليمن بجنوب شبه الجزيرة .

وكما يبدو من تاريخ هذه الجماعات قبل الإسلام أنها اندمجت فى مجتمعاتها العربية. وقد سهل اندماجها بسبب تعودها على حياة البادية والصحراء ، وزاولت مهنتها الأساسية وهى التجارة . ولكن العامل الأساسى فى الاندماج يكمن فى انتساب الجماعات اليهودية إلى قبائل عربية مما يؤكد أن كثيرًا من هؤلاء اليهود أصبحوا عربًا ، أو كانوا عربًا دخلوا فى اليهودية [١] ومهما كان الوضع فقد عوملوا على أنهم عرب وكان لهم ثقافتهم العربية وإنتاجهم الأدبى العربى وشعراؤهم الذين نظموا شعرًا عربيًا راقيًا [٢]

كل هذا يدفعنا مرة أخرى إلى طرح التساؤل السابق وهو الخاص بترجمة نصوص من العهد القديم إلى العربية لتيسير أمور العبادة بالنسبة لهؤلاء اليهود الذين يلاشك استخدموا العربية فى حياتهم الدينية ، وبخاصة بعد ضعف المعرفة بالعبرية التى ربما يكون أسلافهم قد أتوا بها من فلسطين بعد أحداث السبى المذكورة .

الرأي اليهودي في تاريخ الترجمات العربية للعهد القديم

ترجح الآراء اليهودية وجود ترجمات عربية جزئية للعهد القديم زمن الرسول عليه الصلاة والسلام . وهذا الرأى فاسد من زاويتين: الأولى - عدم وجود أدلة على هذا الادعاء حيث لا توجد أية نصوص يهودية عربية موروثة من هذه الفترة . وثانيًا ـ أن هدف هذا الادعاء إثبات صلة للإسلام باليهودية فى هذا الوقت المبكر من تاريخ المسلمين دعمًا للشبهة اليهودية بأخذ الرسول عليه الصلاة والسلام أفكاره الدينية من اليهود فى مكة ويثرب وخيبر وغيرها ، وأن القرآن الكريم بهذا الشكل ليس وحيًا ، وأنه استمد مادته من مصادر يهودية كما يذهب الادعاء اليهودى العام الذى عبر عنه الاستشراق اليهودي بكل قوة. وإثبات وجود ترجمات للعهد القديم فى اللغة العربية زمن الرسول عليه الصلاة والسلام هدفه -التأكيد على النقل من هذه الترجمات والأخذ عنها والاستفادة منها فى تكوين الإسلام كدين .

وقد اتجه الرأى اليهودى أيضًا إلى القول بأن تراثًا شفويًا من الشرح والتفسير بدأ يتطور فى اللغة العربية بين يهود عصر الرسول عليه الصلاة والسلام أو من قبل ذلك ، وربما يكون قد تم إخضاع هذا التفسير الشفوى للعهد القديم للكتابة فى وقت متأخر . ويتخذ أصحاب هذا الرأى من وجود الإسرائيليات فى بعض كتب التفسير المبكرة ، وفى الحديث دليلا على صدق هذا الرأى الخاص بالتراث الشفوى . كما يستند أصحاب هذا الرأى أيضا إلى وجود قصص قرآنى خاص بأنبياء بنى إسرائيل . وهذا الرأى فاسد لأن هذا التراث الشفوى لم يعرف عنه شيء فهو تراث شفوى خاص باليهود ، ويعرف داخل دوائرهم وغير معروف خارج هذه الدوائر ، وبخاصة أن اليهودية لم تكن ديانة تبشيرية ، ولم تسع إلى تهويد العرب حيث لم يرحب اليهود بدخول العرب فى ديانتهم. والأمر الثاني أن اليهود عرفوا الكتابة منذ وقت مبكر وتراثهم الشفوى عادة ما يخضع

بعد حقبة من الزمن للتدوين كما حدث مع التوراة وبقية أسفار العهد القديم ، وكما حدث مع التلمود ومع ذلك فهذا التراث الشفوى لم يخضع للتدوين والكتابة . وليس هناك ما يدل عليه قديمًا أو حديثًا . ولا توجد نصوص يهودية تراثية من تراث اليهود فى شبه الجزيرة العربية يدل على تراث شفوى تم تدوينه .

والحقيقة أن اليهودية فى شبه الجزيرة العربية قبل زمن الرسول عليه الصلاة والسلام وخلال عصره كانت يهودية بلا تراث . ولا يمكن مقارنتها بالتراث اليهودى فى أشور وبابل ، وفى بلاد النهرين عمومًا ، أو بالتراث اليهودى فى فلسطين ، أو بالتراث اليهودى فى فارس وفى الاسكندرية . فهذه المناطق شهدت يهودية قوية منتجة فعالة على مستوى التراث اليهودى ، وخلقت تراثًا يهوديًا دينيًا قويًا ، بل مثلت هذه المناطق مراكز للثقافة اليهودية متنوعة فى فكرها ومختلفة فى اتجاهاتها بما يسمح بالحديث عن مركز عراقى ، ومركز فلسطينى ، ومركز فارسى ، ومركز سكندرى . وفى المقابل من الصعب الحديث عن مركز فى شبه الجزيرة العربية يمثل يهودية مستقلة ، أو يمثل اتجاهًا واضحًا فى اليهودية .

ولم تظهر الحاجة إلى ترجمة التوراة ، أو العهد القديم ، إلا بعد تحول الشرق الأدنى القديم إلى الإسلام ، وخضوع الأقليات اليهودية والمسيحية للحكم الإسلامى ، وبداية ظهور العربية كلغة عالمية عندما نزل بها القرآن الكريم وكتب بها التراث الإسلامى والعلوم الإسلامية ، وأصبحت لغة الحديث والكتابة والعبادة والدين لكل الأقليات غير المسلمة فى البلاد المتحدثة بالعربية . وكان الدافع إلى الشروع فى ترجمة العهد القديم توفير النص الدينى اليهودى المقدس للمؤمنين به من اليهود المتحدثين بالعربية وغير العارفين بالعبرية . وتدعى دائرة المعارف اليهودية أن سببًا آخر للترجمة يكمن فى رغبة المسلمين فى استخدام الترجمة فى الأعمال الدفاعية الإسلامية . وهذا أيضًا رأى فاسد لأنه لو كان رأيًا صحيحًا لقام بعبء الترجمة علماء مسلمون . ولكن الحقيقة تشير إلى أن مترجمى العهد القديم إلى العربية كانوا دائمًا وأبدًا من اليهود والمسيحيين وليسوا من المسلمين .

ترجمة سعديا الفيومى والترجمات المعتمدة عليها

قام سعديا الفيومى (٨٨٢-٩٤٢م) بأول ترجمة للعهد القديم إلى اللغة العربية لليهود المتحدثين بالعربية وبأول تفسير جزئى للعهد القديم باللغة العربية ، وقد استمرت ترجمة سعديا تمثل الترجمة المعتمدة لدى اليهود المتحدثين بالعربية .

وقد أعد سعديا فى البداية ترجمة لكل أسفار العهد القديم تقريبًا مع تفسير مفصل ، ثم اتجه إلى عمل ترجمة شعبية ، وهى فى الحقيقة ترجمة وتفسير فى نفس الوقت . فهو لم يلتزم بالترجمة الحرفية ولكن التزم بترجمة حرة كان يلخص فيها أحيانًا فقرة كاملة من النص [٣].

وقد أتى تفسير سعديا تفسيرًا عقليًا متفقًا مع اتجاهه العقلانى العام متخلصًا من كل التشبيهات anthropomorphisms . ومن المحتمل أن سعديا كتبها بحروف عربية ليجعلها متاحة لغير اليهود الذين لا يعرفون الخط العبرى ، أو لليهود الذين لا يستطيعون قراءة الخط العبرى. وقد سعى سعديا إلى صياغة العهد القديم العبرى صياغة عربية تكون مقبولة عقليًا، ويقرأ بسهولة . ولقد تخلص سعديا من معظم الإشارات الأنثروبومورفية (التشبيهية) ، كما استخدم بناء الجملة العربى لتيسير الفهم مضيفًا بعض الألفاظ المطلوبة وحذف بعض الألفاظ حتى يصبح المعنى مقبولاً ،وأدخل الأسماء العربية للأعلام والأماكن على النص . وللأسف أن ترجمة سعديا ليست موجودة فى صورة كاملة . وقد ساعدت الجنيزا على الحصول على بعض أجزاء جيدة من تفاسيره لنصوص العهد القديم . وتشتمل هذه التفاسير على صياغات عربية لفقرات وقطع من العهد القديم(٤) .

وفى القرن الثالث عشر ترجم يهودى أفريقي التوراة إلى العربية معتمدًا على سعديا الفيومى وهو يهوذا بن اسحاق بن غيات . ومن بين القرائين ترجم يافث بن على اللاوى (القرن العاشر الميلادى) العهد القديم كله إلى العربية مع تفسير له . كما قدم أبو الفرج فرقان بن أسد (القرن الحادى عشر) ترجمة عربية للتوراة على الأقل . ومن بين السامريين ترجم التوراة أبو سعيد (القرن الثالث عشر) ، ويظهر فيها تأثير سعديا الفيومى . وقام حزقيال بن شيمطوف داود بنشر ترجمة عربية للعهد القديم عام ١٨٩٥ م (٥)

الترجمات المسيحية إلى العربية

وبالإضافة إلى هذه الترجمات اليهودية هناك صياغات مسيحية عديدة للعهد القديم بواسطة عدد من الكنائس الشرقية والإرساليات الحديثة العاملة بالتنصير بين الجماعات المتحدثة بالعربية .

وقد توزعت الترجمات المسيحية للعهد القديم إلى العربية بين ترجمات كاثوليكية وبروتستانتية . وقد اعتمدت هذه الترجمات حتى النصف الثانى من القرن التاسع عشر على نسخة الفاتيكان ١٦٧١ المسماة Vatican Congregation of Propagation of the Faith مجمع الفاتيكان لنشر الإيمان" وقد ظهرت ثلاث نسخ ، حيث نشرت الإرساليات البروتستانتية الأمريكية فى بيروت ترجمة جديدة فى عام ١٨٦٤ فى اللغة العربية الحديثة modern arabic وقد بدأ هذه الترجمة إيلى سميث Eli Smith وأكملها فان دايك C.v.A.Van Dyck بمساعدة بعض العلماء العرب وبخاصة الشيخ ناصف اليازجى . وقد أعيد طبع هذه النسخ فى ١٨٦٩ وأصبحت معروفة باسم The Oxford Arabic Bible الكتاب المقدس العربى لأكسفورد (٦) وقد نشر الدومنيكان بالموصل الكتاب المقدس فى أربعة مجلدات معتمدًا على نسخة C.J.David الصادرة فى (١٨٧٤ – ١٨٧٨) (٧).

وفى نفس الوقت تقريبًا نشر اليسوعيون Jesuits في بيروت ترجمة فى اللغة العربية الفصيحة فى ثلاثة مجلدات . وتعتمد الترجمات العربية الحالية للكتاب المقدس بين المسيحيين على هذه النسخ .

نحو ترجمة جديدة للعهد القديم للعربية

هذا التاريخ السابق للترجمات إلى العربية لا يتناسب مع أهمية العهد القديم ، ولا مع أهمية اللغة العربية كلغة أساسية ليهود ومسيحيى العالم العربى . ولا تزال الحاجة ماسة إلى ترجمة جدية تعالج وجوه النقص الكثيرة فى الترجمات الحالية يهودية كانت أو مسيحية . فهى ترجمات ضعيفة لغويًا ، وركيكة أسلوبيًا ، وصعبة على الفهم ، ولا تتناسب مع جماليات اللغة العربية وبلاغتها ، ولا مع قيمة نص العهد القديم الدينية .

ولذلك فالحاجة الآن ماسة إلى عمل ترجمة جديدة للعهد القديم . وهناك عدة أسباب مقنعة لضرورة البدء فى إصدار ترجمة جديدة للعهد القديم . ومن أهم هذه الأسباب :

١- الوفاء بالمتطلب اللغوي والأسلوبي من خلال إعادة صياغة العهد القديم فى ترجمة علمية وأدبية ترتفع بمستوى اللغة والأسلوب المناسبين لنص دينى مقدس مثل العهد القديم وذلك من خلال اختيار الألفاظ الجيدة والعبارات المتقنة لتحقيق درجة من البلاغة ترتقى إلى مستوى النص المترجم . وتتخلص من سلبيات الترجمات الحالية وأهمها الضعف اللغوى والأسلوبى ، وعدم القدرة على التعبير البلاغى ، وكذلك التخلص من الصعوبات التى تقف فى طريق تحقيق الفهم للنص كنص حامل لرسالة مطلوب التبليغ بها عن طريق اللغة . وقد عجزت لغة الترجمات الحالية عن الوفاء بهذا الجانب ، فأصبح النص صعبًا على الفهم ، وأصبحت معظم عباراته تحتاج إلى تفسير وتوضيح ، ففقد النص مباشرته ، وأصبح فى حاجة إلى تدخل تفسيرى يزيد عن التدخل المعقول والمباح لأن معظم النص الحالى يتسم بعدم الوضوح وبالغموض واللبس . والمطلوب ترجمة سهلة يسيرة على الفهم ، مباشرة فى معانيها ، وخالية بالتقريب من الرموز والتأويلات الصعبة ، وموصلة للمعنى فى لغة أدبية راقية تناسب قداسة النص وأهميته .

٢- الوفاء بالمطلب الديني الروحي في الترجمة ، والقادر على التعبير عن المضامين الدينية للعهد القديم فى صورة مباشرة من خلال اختيار ألفاظ دينية دقيقة ومعبرة، واختيار عبارات دينية معقولة ومفهومة ، وناقلة للمضمون الدينى بأمانة ، ومعبرة عن روحانية النص وهى روحانية مفقودة فى الترجمات الحالية لأسفار العهد القديم. والمطلوب أيضًا التعبير عن التجربة الدينية فى العهد القديم فى لغة حديثة قوية وبليغة ومعقولة .

٣-أن تتم الاستعانة بالترجمات الحديثة للعهد القديم والتى تمت فى اللغات الأوروبية من أجل التأكد من الدلالات والمعانى الخاصة بالألفاظ والعبارات ،والاستفادة من التقدم العلمي في

العلوم الدينية فى الغرب والذى انعكس على الترجمات الحديثة للعهد القديم، وكذلك الاستفادة من معطيات علم نقد العهد القديم والذى حل العديد من مشاكل الترجمة .

مشكلات ترجمة العهد القديم إلى العربية

وفى ضوء المتطلبات السابقة الذكر لأية ترجمة جديدة لأسفار العهد القديم هناك عدد من المشكلات المهمة التى يجب حلها حتى تأخذ الترجمة الجديدة شكلها العلمى المنضبط .

ومن أهم هذه المشكلات ما يلى :-

١- الاختلاف حول تاريخ النص وتعدد نسخ نص العهد القديم

٢- تعدد لغات النص بعد تحول الترجمات إلى أصول وتقديس الترجمات

٣- ازدواجية تفسير النص بين الترجمات اليهودية والمسيحية

٤- اختلاف المستويات اللغوية و الأسلوبية داخل العهد القديم

المشكلة الأولى: تاريخ النص وتعدد نسخ العهد القديم

تطرح هذه المشكلة التساؤل التالى : أى نص للعهد القديم أولى بالترجمة إلى اللغة العربية؟ والخلفية التاريخية لهذه المشكلة تكمن فى التاريخ الطويل لنص العهد القديم والذى خلف لنا عدة نسخ مختلفة لنص العهد القديم تتراوح بين نص التوراة المقبول عند فرقة اليهود السامريين ، ونص العهد القديم المقبول لدى فرقة القرائين ،ونص العهد القديم المقبول عند اليهود الرباتين.وللإجابة على هذا التساؤل نطرح إشكالية أخرى ،وهى إشكالية لمن نترجم العهد القديم ؟ هل نترجمه لإحدى الفرق اليهودية السابقة الذكر ؟ أم نترجمه لليهود عموما ، وستجد كل فرقة يهودية ما يخصها من العهد القديم مترجما إلى العربية فتأخذ ما تريده ، وتترك ما لا تعترف به ؟ أم نترجم العهد القديم للقارئ عموما بدون تحديد لهويته الدينية فيستفيد من الترجمة اليهودية حسب انتمائه الدينى ، والمسيحى حسب مذهبه المسيحى ، والمسلم الذى يريد أن يعرف محتوى العهد القديم بصرف النظر عن هدفه من استخدام العهد القديم ،سواء أكان هدفا علميا معرفيا ، أم هدفا جدليا ، أم هدفا دعويا تبليغيا .

الخلاصة أن الخلافات بين الفرق اليهودية حول حجم النص وتفسيره ، والخلافات بين المسيحيين حول حجم النص وتفسيره ، والخلافات بين اليهود من ناحية والمسيحيين من ناحية حول نفس القضية ..... كل هذه الخلافات تلقى بظلالها على مسألة ترجمة العهد القديم كمطلب إسلامى . لأن الفرق اليهودية حلت المشكلة من خلال ترجمتها للنص المعترف به لديها والمطلوب للعبادة عندها . كما أن الترجمات المسيحية للعهد القديم فعلت نفس الشئ ومن خلال

رؤية مسيحية للنص تحاول توظيفه للتعبير عن الآراء اللاهوتية للمسيحية على اختلاف مذاهبها وبخاصة فيما يتعلق بقضية الخلاص والمسيح المخلص .

المشكلة الثانية : تعدد لغات النص :

المشكلة الثانية هى امتداد للمشكلة الأولى وهى أنه بالإضافة إلى مسألة تعدد نسخ العهد القديم لدينا مشكلة تعدد لغات النص المراد ترجمته . واللغة العبرية هى لغة العهد القديم الأساسية ولكن بالإضافة إليها اكتسبت كل ترجمة للعهد القديم فى اللغات القديمة نوعا من الأصالة بحيث أصبحت تغنى عن النص فى لغته العبرية . و ينطبق هذا على الترجمة السبعينية ، وعلى الترجمة اللاتينية ، وعلى الترجمة السريانية والترجمة الحبشية ، وأيضا على الترجمة العربية وعلى الترجمات الأوربية الحديثة .

لقد استغنى أهل هذه الترجمات عن النص العبرى وأصبح النص المقدس عندهم هو النص المترجم إلى لغاتهم. وهذه مشكلة لا نجدها مع ترجمات معانى القرآن الكريم لأنه تم تحديدها بداية بأنها ترجمة معانى وليست ترجمة حرفية للنص العربى ، وثانيا – لأن هذه الترجمات عادة ما تكون مصحوبة بالنص العربى ، وثالثا – لأن معظم الشعوب الإسلامية لها صلة قوية باللغة العربية لأنها لغة الصلاة ولغة القرآن . فالصلة بالعربية ليست منقطعة تماما ، كما أن كتابة معظم اللغات الشرقية الإسلامية بالخط العربى جعلت قراءة القرآن أمرا ميسورا إلى حد ما . هذا بالإضافة إلى ما وقر فى الوجدان المسلم من أن ترجمة معانى القرآن الكريم لا تغنى عن القرآن الكريم نفسه بل هى عامل مساعد للمسلم غير العربى لفهم معانى القرآن الكريم فى لغته ، وأن عليه أن يجتهد فى قراءة النص العربى لأن ذلك واجب دينى وأمر تتطلبه العبادة الإسلامية . ولذلك فكل مسلم غير عربى لديه قدر معين من المعرفة بالعربية التى أصبحت بمثابة اللغة الدينية المقدسة . وفى هذا الخصوص تتضح خطورة الدعوات الساعية إلى إحلال الخط اللاتينى مكان الخط العربى فى بعض اللغات الشرقية الإسلامية مثلما حدث مع اللغة التركية ومع بعض لغات الجمهوريات الإسلامية التى كانت تابعة للاتحاد السوفيتى المنحل . فقد أدى تبنى الخط اللاتينى إلى هجر الحرف العربى ، وبالتالى الانقطاع عن استخدام القرآن الكريم فى حرفه ولغته العربية . أما ترجمات العهد القديم فقد استقلت عن النص العبرى استقلالا تاما ، وأصبحت هناك قطيعة تامة بين مستخدم الترجمة والنص العبرى للأصل وبخاصة بعد اكتساب الترجمة لنوع من القداسة نجدها واضحة مع الترجمة السبعينية ، والترجمة اللاتينية . فبالنسبة للترجمة السبعينية Septuagint اعتقد فى أنها أفضل من الأصل . وأنها نتيجة وحى إلهى[٨] نزل على السبعين شيخا الذين ترجموها إلى اليونانية Interpretatio Septuaginta Seniorum . وهى تكون مع العهد الجديد الكتاب المقدس فى المسيحية والكتاب المقدس للكنيسة الأرثوذكسية اليونانية . وقد تمت

هذه الترجمة فى الإسكندرية بأمر من بطليموس الثانى فيلادلفوس ، ووضعت فى مكتبة الأسكندرية. وقد تم ذلك فى القرن الثالث الميلادى . وأصبحت مقدسة لدى الكنيسة الكاثوليكية بشكل تساوى أو ربما فاق قداسة النص العبرى . (٩)

المشكلة الثالثة : إشكالية التفسير المزدوج بين الترجمات اليهودية والمسيحية :

من أهم مشكلات ترجمة العهد القديم أنه كتاب مقدس فى ديانتين مختلفتين ، وهى مشكلة كبيرة جعلت من ترجمات العهد القديم تفاسير لمعطيات الديانتين على مستويات العقيدة والشرائع والعبادة والأخلاق . فترجمة الجزئيات العقيدية تحولت فى الحقيقة إلى تفاسير للعقيدة من زاوية ديانة المترجم يهودية كانت أو مسيحية . وانعكس التفسير على بقية مكونات العهد القديم والمرتبطة بالشرائع والعبادات والأخلاق . والحقيقة أن التفسير هو سبب الاختلاف وسبب تقديس الترجمة ، و بخاصة فى حالة ارتباط الترجمة بمفسر كبير له مكانته التأسيسية داخل الدين. ونعتقد أن هذا كان وضع الترجمة السبعينية التى فسرت العهد القديم ، وقام بها حسب القصة المتعلقة بالترجمة – سبعون شيخا ملهما ، وهو أيضا وضع الترجمة اللاتينية لجيروم (الفولجات) لأن جيروم فسر نص العهد القديم فى ترجمته حسب الرؤية المسيحية للكتاب فجاءت الترجمة تأصيلا لمقولات مسيحية ، وتأسيسا لاختلافات جوهرية مع الفهم اليهودى للنص .

المشكلة الرابعة : اختلاف المستويات اللغوية والأسلوبية داخل العهد القديم :

يصل تاريخ العهد القديم كنص إلى ألف عام بالتقريب (١٠) وهى الفترة المحصورة بين نزول التوراة على موسى عليه السلام وبين تثبيت نص التوراة وبقية أسفار العهد القديم.معنى هذا أن العهد القديم تم تدوينه على مدى ألف عام من تاريخ اللغة العبرية مرت خلالها اللغة بفترات صعود وهبوط، وقوة وضعف وفقا لظروف الجماعة المتحدثة بها . والمعروف أن هذه الفترة شهدت أهم أزمات التاريخ اليهودي ، وهى أزمات السبى الأشورى والبابلى مرورا بتأثيرات العصرين الفارسي واليوناني و بدايات العصر الروماني . وتاريخ اللغة العبرية خلال هذه الفترة الطويلة يعكس مراحل القوة والضعف فى اللغة . ونص العهد القديم وهو الشاهد اللغوي الوحيد على تطور اللغة العبرية بمعنى أن اللغة العبرية تطورت داخل العهد القديم نفسه ، كما أن تاريخ العهد القديم كنص هو نفسه تاريخ اللغة العبرية . ولذلك فمن أهم خصائص لغة العهد القديم تعدد المستويات اللغوية والأسلوبية إذ لا توجد وحدة لغوية أو أسلوبية في نص العهد القديم . وتختلف لغة التوراة وأسلوبها عن لغة الأسفار التاريخية ، وكلاهما يختلف عن لغة أسفار المكتوبات . ويصل هذا الاختلاف إلى حد كبير حين تضمحل اللغة العبرية فى بعض الأسفار وتستسلم للغة أخرى كما حدث في سفرى دانيال وعزرا حيث سادت الآراميات وفى أسفار أخرى تظهر تأثيرات للفارسية واليونانية (الجامعة مثلا) وفى أسفار أخرى يظهر تأثير العربية(الأمثال، وأيوب ،

وروث). وتظهر اختلافات ومستويات أخرى على مستوى الشعر[١١]والنثر داخل العهد القديم ، وأيضا على مستوى السرد التاريخي والوصف الديني باعتبار أن مادة العهد القديم موزعة فى الغالب بين مادة دينية ومادة تاريخية . كما أن لغة أسفار الحكمة لها طابعها الخاص المميز لها عن لغة الأسفار التاريخية .[١٢]

: هذا التعدد و الاختلاف فى المستويات اللغوية والأسلوبية يضع المترجم أمام إشكالية حقيقية وهى تعدد العصور اللغوية واختلاف اللغة داخل هذه العصور . وتشبه تشيز Chase هذا الاختلاف داخل العهد القديم بتقسيمات مراحل الأدب الإنجليزى ولغته إلى العصر الإليزابثى ، والعصر الكلاسيكى ، والعصر الرومانسى ، والعصر الفيكتورى [١٣] . و استخدام مصطلح لغة العهد القديم لا يعبر تعبيرا سليما عن الوضع اللغوى داخل العهد القديم إذ لا توجد وحدة لغوية مهيمنة على مدى ألف عام ، ولكن توجد لغة الرواة الأوائل ولغة التوراة الأواخر، ولغة شعرية مبكرة ولغة شعرية متأخرة . [١٤]وتقسم تشيز لغة وأدب العهد القديم إلى عصرين أسقطت عليهما تسميات مستمدة من الأدب الإنجليزى وهما العصر الكلاسيكى والعصر الرومانسى فضلا عن تسميتهما بالعصر الذهبى و العصر الفضى أو عصر أدب ما قبل السبى وأدب ما بعد السبى [١٥] وتم تحديد الأدب الكلاسيكى تاريخيا بالفترة من ١٠٠٠ ق.م ـــ ٥٣٦ ق.م . و تاريخ الأدب الرومانسى من ٥٣٦ ق.م وحتى نهاية العهد القديم[١٦]

ولا شك أن المترجم الأمين للعهد القديم عليه أن يعكس هذه الاختلافات والمستويات اللغوية و الأسلوبية. ولكن السؤال المطروح هو كيف نقوم بهذه المهمة . إن الترجمة عادة ما تخفى عيوب النص المترجم ، ومنها العيوب اللغوية والأسلوبية لأن هدف المترجم نقل المعانى والأفكار وليس نقل اللغة والأسلوب من خلال معايير القوة و الضعف . ولعل هذا هو السبب فى شدة احترام بل وربما تقديس بعض النصوص الدينية المترجمة لأنها عكست فى الترجمة قوة لغوية، ومتانة أسلوبية ليست موجودة دائمًا فى النص المترجم . وقد نالت ترجمة العهد القديم فى اليونانية وفى اللاتينية مكانة عظيمة لأنها عبرت عن وحدة لغوية وأسلوبية ليست موجودة فى النص العبري ، كما قدمت النص مترجمًا إلى لغة يونانية ولاتينية فصيحة وبليغة لا ترقى إليها لغة النص العبري وبخاصة في المرحلة المتأخرة من تاريخ العهد القديم .

شروط الترجمة الجديدة :

يجب أن تتوفر فى الترجمة الجديدة للعهد القديم مجموعة شروط أساسية من أجل تحقيق الهدف من الترجمة وهو ترجمة عربية فصيحة وبليغة وخالية من عيوب الترجمات السابقة السابقة ، ومن أهم هذه الشروط ما يلى :

١-أن تتم الترجمة عن اللغة الأصلية للعهد القديم وهى اللغة العبرية وليس عن طريق لغات وسيطة كما حدث مع كل الترجمات العربية السابقة التى استعانت بلغة وسيطة مثل النرجمة اليونانية أو اللاتينية أو السريانية . فلا يجب أن تكون الترجمة عن ترجمة أخرى، ولا مانع من الاستعانة بالترجمات الأخرى لحل المشاكل التى تظهر فى الترجمة المباشرة عن العبرية ، والحقيقة أنه من واجب المترجمين الاستعانة بالترجمة العربية السابقة، وبالترجمات الأوربية القديمة والحديثة ولكن العمل الأساسى يجب أن يتم عن العبرية مباشرة .

٢- أن تأتى الترجمة الجديدة فى لغة عربية واضحة وبسيطة ومباشرة ، وخالية من التعبيرات المعقدة التى تضيف غموضًا على النص ، ولا تنجح فى توصيل الرسالة المراد توصيلها للقارئ العربى . كما يجب الحرص على التعبير عن بلاغة النص العبرى من خلال لغة عربية بليغة مع الأخذ فى الاعتبار مسألة التغلب على تعدد المستويات اللغوية والأسلوبية للنص العبرى ، وتحقيق وحدة لغوية وأسلوبية تخفى تأرجح لغة النص الأصلى بين القوة والضعف .

٣- الحرص على أن تكون الترجمة علمية وثائقية من أجل سلامة توصيل الرسالة المراد توصيلها فى دقة ، وبدون تغيير لمضمونها ، أو إعادة تفسير لهذا المضمون لإدخال تغيير معين على المعنى العلمى الأصلى . وضرورة الالتزام بالترجمة العلمية الموضوعية الوثائقية

٤- التوصية بألا تخضع الترجمة للرؤى الدينية المختلفة التى نشأت حول النص الواحد والعهد القديم يعانى من هذه المشكلة وهى تعدد الرؤى اليهودية حوله ، ثم تعارض هذه الرؤية مع الرؤى المسيحية التى تعددت هى الأخرى إلى مجموعة رؤى مذهبية . ولذلك فإن الترجمة المطلوبة يجب أن تتجاوز هذه الرؤى المتناقضة لليهودية والمسيحية ، وتعطى صياغة للأصل العبرى بعيدًا عن الرؤى التفسيرية التى نشأت حوله .

٥- أن تتخلص الترجمة من أسر اللغة الدينية للنص عبرية كانت أو سريانية ، أو يونانية ، أو لاتينية . فالقداسة ليست فى اللغة ولكنها فى المضامين والعقائد التى عبرت عنها اللغة ومدى ارتباطها بالوحى الإلهى . فالقداسة إذن مرتبطة بالوحى فى المقام الأول .

أما الترجمات فهى أدوات لنقل ما ورد بلغة الوحى إلى لغات أخرى ليست لها قداسة لعدم ارتباطها بالنص الأصلى . وفى هذا الخصوص لدينا مشكلة فيما يتعلق بنص العهد القديم . فقد انتهى علم نقد الكتاب المقدس فى الغرب إلى الحكم على نص العهد القديم بأنه نص إنسانى مستمد من مصادر إنسانية هى أربعة مصادر أساسية متفرعة أو متشعبة إلى عدة مصادر فرعية. والمصادر الأساسية هى الالوهيمى وليهوى والكهنوتى والتثنوى . هذه النتيجة هى بمثابة حكم على طبيعة النص العبرى ، وعلى أن لغة النص لغة إنسانية خالية من القداسة التى أحيطت بها كمتلقية للوحى الإلهى ومعبرة عنه . وبالتالى فإن مترجم النص العبرى يجب عليه أن يتحرر من أسر فكرة قداسة اللغة العبرية كلغة للعهد القديم فهو فى الحقيقة يبحث عن القصد الإنسانى فى النص حتى وإن عبَّر عن مضمون إلهى . والمترجم للعهد القديم المعتمد على الترجمات السابقة له فى لغات مختلفة يجد نفسه أسير تعدد القداسات اللغوية . فهو يتعامل مع ترجمات اكتسبت قداسات ربما فاقت قداسة لغة النص الأصلى وهى اللغة العبرية . وفى ظل هذا الأمر لا يمكن إنتاج ترجمة موضوعية علمية .

٦- ضرورة أن يستفيد المترجم للعهد القديم من العبرية إلى العربية من القرابة اللغوية بين العربية والعبرية وذلك فى اختيار الدلالة المناسبة للألفاظ ، وفى بناء الجملة العربية ، وفى النواحى الأسلوبية واللغوية الأخرى . ويبدو أن الترجمات العربية السابقة باعتمادها على ترجمات غير سامية لم تتمكن من تحسين الوضعية اللغوية والأسلوبية للترجمات العربية ، فظلت على ما هى عليه من ضعف لغوى وأسلوبي أثر بلا شك على المعانى ، وأضعف القدرة على تحقيق الفهم المباشر كما تسبب فى إضعاف الشحنة الروحية بالنص .

الهوامش

(١) جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء السادس ، دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ ، ص٥٣٢

(٢) انظر جواد على ، المرجع السابق ، ص٥٦٩ وما بعدها

(٣) Ency.Judaica , Vol٤ز Art , Saadia , p.

(٤) Ency.Judaica , Vol٤ , Art bible . p.٨٦٣

(٥) Ibid , p. ٨٦٣

(٦) Ibid , p.٨٨٧

(٧) Ibid , p. ٨٨٧

(٨) Judaica , article ,Bible, vol. ٤, p.٨٥٢

(٩)Ibid , p.٨٥٤

(١٠)Geddes MacGregor , ALiterary History of Bible from the Middle Ages to the present day , Abingdon Press , New York , ١٩٦٨ , p.١٦

(١١) مثل اجزاء من اسفار اشعياء وارميا وعاموس وهوشع والمزامير ونشيد الانشاد وايوب والجامعة

(١٢)M.E.Chase , Life and Language in the Old Testament , W.W. Norton and Co. New York , ١٩٦٢ , p.١٤٥

(١٣)Ibid , p.١٤٦

(١٤)Ibid , p.١٤٦

(١٥)Ibid , p. ١٤٧

(١٦)Ibid , p. ١٤٧-١٤٨

المراجع

- الكتاب المقدس
- جواد على ، المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء السادس . دار العلم للملايين ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠
- M.E.Chase , Life and Language in the Old Testament , Norton Co. , N.Y. , ١٩٦٢
- Ency. Judaica , Jersalem ١٩٧٢
- Geddes MacGregor , A Literary History of the Bible, Abingdon Press , N.Y. , ١٩٦٨